الكتـل السياسية الاسرائيلية ومعضلة «الارض أم السلام؟»

Yishai, Yael; *Land or Peace - Whither Israel?* Stanford: Hoover Institution Press, Stanford University, 1987, 265 Pages.

الارض ام السلام؟ هذا هو السؤال المصيري الذي ما زال الاسرائيليون يطرحونه على أنفسهم منذ ان بدأت الهجمة الصهيونية الاستعمارية على فلسطين تتخذ ابعاداً حقيقية وخطرة مع بداية تطبيق الانتداب البريطاني على فلسطين. فقد واجهت الحركة الصهيونية، وهي بصدد تنفيذ مخططاتها، مشكلة اساسية كان لا بد من ايجاد حل لها، أو التغلب عليها، بشكل من الاشكال. تلك «المشكلة» هي وجود شعب اصيل مقيم، منذ آلاف السنين، على الارض ذاتها التي جعلتها الصهيونية هدفاً لمخططاتها، وشكّل التعامل مع هذه المشكلة احد اهم المحاور التي اصطرعت حولها تيارات الصهيونية المختلفة، الاشتراكية والليبرالية والدينية واليمينية المتطرفة. وعلى الرغم من محاولة بعض الاحزاب الصهيونية (قبل حرب العام ١٩٤٨، وبعدها) اضفاء بعض البعد الانساني، أو الواقعي، في التعامل مع «المشكلة العربية»، الاّ ان الطابع الغالب على السياسة الصهيونية، في هذا المجال، كان يتميز بتغييب العامل الفلسطيني، وتجاهل وجوده المستقل والمميّز. وساعدت الظروف الذاتية، والموضوعية، التي رافقت حرب العام ١٩٤٨، على تكريس ذلك الاسلوب تكريساً تاماً.

ولكن تغيّراً بدأ يطرأ على المواقف الاسرائيلية مع انطلاقة الكفاح المسلّح الفلسطيني العام ١٩٦٥، وبصورة اوضح إثر حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، التي وضعت كامل الارض الفلسطينية، ومعها نحو ١,٥ مليون فلسطيني آنذاك، تحت الاحتلال الاسرائيلي. وكان على اسرائيل، بنتيجة تلك الحرب، ان تجد جواباً عن السؤال الجوهري: ماذا تريد من المناطق المحتلة، وبالتالي ماذا ستفعل بها؟

من الواضح، ان الرد الاكثر انسجاماً مع العقيدة الصهيونية يشير الى ضرورة الاحتفاظ بهذه المناطق، أو بأكبر مساحة ممكنة منها، وتوطين مئات الالوف من المهاجرين اليهود عليها. ولكن سرعان ما تبيّن للمسؤولين الاسرائيليين ان الاحتفاظ بهذه المناطق ـ حتى لو افترضنا ان الاعداد المطلوبة من المهاجرين هي في حكم الممكن ـ لا يوفر لاسرائيل مطلب الامن والسلام الذي تدعي باستمرار سعيها الحثيث الى تحقيقه. ومن هنا، بقيت هذه المعضلة ـ الارض ام السلام؟ ـ تخيّم على الحياة السياسية في اسرائيل، دون ان يتمكن أي من الحزبين الكبيرين فيها، العمل أو الليكود، من تقديم حل لها قابل للتطبيق.

ملامح هذه المعضلة، ومواقف الكتل السياسية، الحاكمة والمعارضة، تجاهها، وتأثيرها في الرأي العام الاسرائيلي وتأثّره بها، هي مادة هذا الكتاب، الذي أُصدر قبل اندلاع الانتفاضة الراهنة للشعب الفلسطيني. ومع ذلك، فان الكثير ممّا جاء فيه من عرض وتحليل ما زال منطبقاً على الوضع السياسي الاسرائيلي.

مادة الكتاب الاساسية هي الساحة الداخلية في اسرائيل. فالكاتب لا يدّعي التطرّق الى العوامل الخارجية، الاقليمية أو الدولية ولا حتى للعامل الفلسطيني المؤثر داخل اسرائيل وخارجها، مع اعترافه باهمية هذه العوامل، بدرجات متفاوتة، في تشكيل النهج السياسي الاسرائيلي. وبالتالي، انحصر اهتمام الكاتب في درس القوى والاحزاب السياسية والجماعات الضاغطة والرأي العام داخل اسرائيل، ومدى قدرة هذه الفئات على توجيه سياسة